اتخذ صلاح الدين من المفاوضات بين الفاطميين في مصر والصليبيين في القدس عذرا لمهاجمة القاهرة والاطاحة بخليفتها . وارغم الحاكم العباسي في بغداد على الاعتراف بسلطته على مصر وشمال العراق والمناطق الداخلية في سورية ثم توج انجازاته باحتلال القدس نفسها . يعزو التميمي هذا الانتصار الى ثلاثة عوامل : عبقرية صلاح الدين ووعي الفرد العربي والفرقة والمنافسة بين الحكام الصليبيين(٢٠). وفي تناوله للمراحل الاخيرة من الحرب ضد الصليبيين شدد التميمي على الدور الذي لعبته مصر في النصر النهائي . فبحكم مصادرها الغنية وعدد سكانها الكبير مكنت مصر حكامها ان يسيروا بالحرب الى نتائجها المرجوة . وفي نهاية كتابه طرح التميمي رأيه بأن الصليبيين قد علموا العرب ان الوحدة برهنت على أنها حل لاية محنة حلت بالعرب وبأنه كان على مصر ان تلعب دورا هاما في مثل هذه الوحدة(٢١).

ان الاساس الفكري للكتاب المذكورين يظهر ايضا في الكتابات عن تاريخ البلدان والمدن الفلسطينية . واعتقد المؤرخون الفلسطينيون انه يجب اظهار الطابع العربي لهذه البلدان من أجل تعزيز المشاعر القومية والعواطف الوطنية . يوجز عارف العارف في مقدمة كتابه **تاريخ القدس**(٢٢) هدفه بقوله ان معرفته بالخط الذي سلكه الكتاب اليهود لتأكيد الصلات التاريخية لليهود بفلسطين جعلته يشعر ان من واجبه دحض مزاعمهم من خلال دراسة تاريخ القدس والصلات التي شدد عليها اليهود وليوضح بالتالي ان تاريخ المدينة المقدسة يكشف عن شخصيتها العربية وعن تسامح اهلها تجاه المسيحيين واليهود والعلاقات السلمية التي طبعت حياة سكانها خلال القرون الاخيرة(٢٣) .ارجع العارف اصل القدس الى ما استطاع في القدم مشيرا الى انها بنيت قبل ان يصل بنو اسرائيل القدماء الى فلسطين بقرون . الا انه ركز على تاريخ المدينة منذ العصور الوسطى حيث اصبحت السجلات اكمل ويمكن الاعتماد عليها . واظهر معرفة تفصيلية بالمصادر الاسلامية مما مكنه من اعادة صوغ تطور تاريخ المدينة ونشاطات اهلها .

اكد العارف في دراسته لتاريخ القدس السياسي على الموقف النبيل للفاتحين العرب في المرتين اللتين احتلوا بها المدينة . ففي القرن السابع جاء الخليفة نفسه من المدينة حيث مقر حكمه في الحجاز ليشرف على عملية الاستيلاء . واعطى امانا عاما وسمح لسكانها المسيحيين واليهود ان يمارسوا معتقداتهم بحرية . لقد لاقى المسيحيون معاملة خاصة من الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الذي جهز المدينة بكثير من المباني العامة التي استخدمها المسلمون وغير المسلمين . وقد أنعم الوليد بن عبدالملك على المدينة بقبة الصخرة التي تعتبر آية من آيات فن العمارة الاسلامي والتي اقيمت في المكان الذي عرج الرسول منه الى السماء . وتطورت المدينة بسلام الى ان صدمت بمجيء الصليبيين في اواخر القرن الحادي عشر . ولم يكتف الصليبيون باحتلالها بل فتكوا بجميع اهلها على الرغم من الوعد بالامان الذي اعطوه للمدافعين عنها . قورنت هذه المعاملة بتلك التي ابداها صلاح الدين الذي اظهر بعد قرنين من الزمن عندما اعاد احتلال المدينة مثالا للتسامح الاسلامي . وفي ايام العثمانيين تمتعت المدينة بحرية خاصة حيث اعطيت شكلا من الحكم الذاتي وربطت اداريا بالباب العالي . الا ان هذه الحياة الامنة عطلت مرة اخرى بعد اقامة الانتداب البريطاني حيث حل الشك والكراهية مكان المحبة والثقة التي كانت تسود العلاقات بين اهلها .

اظهر العارف اهتماما كبيرا بمساجد المدينة وكنائسها . فلقد زارها جميعها وعرف الكثير عن تاريخ المهم منها . فهذه الاماكن المقدسة كانت بالنسبة اليه ذكريات التاريخ ومستودعات للسجلات القيمة وحاول أن يتعرف الى اسماء الرجال المحليين الذين دفنوا في مختلف المساجد والكنائس وان يعرف المساهمات التي ادوها لتطور المدينة والدور الذي لعبوه في تاريخها.(٢٤)